

التبيان في تفسير القرآن

(469) ألا أبلغ بني عصم رسولا * فأني عن فتاحتكم غني (2) أي قضائكم وحكمكم، وقال الجبائي: معنى " افتح بيننا وبين قومنا " انزل بهم ما يستحقون من العقوبة لكفرهم بأف وظلمهم المؤمنين. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لانه قال " وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء أف " فعلم أن لهم الرجوع فيها اذا شاء أف، فاذا لم يشأ لم يكن ذلك، فيجب على هذا إن كان أف يريد الكفر أن يكون للكافر الرجوع في الكفر، وهذا لايقوله أحد، فبطل ما قالوه. على أن الظاهر من معنى الملة هو ما يعلم بالشرع، وذلك يجوز أن ينسخه أف فيريد منهم الرجوع فيه، وليس لاحد أن يقول إن قوله " بعد اذجانا أف منها " لايليق بما قلتم وانما يليق بما قالوه، وذلك أن قوله " بعد إذ نجانا أف منها " معناه على هذا القول أزاله عنا ونسخه عنا، فان شاء أن يعيدنا ثانيا جاز لنا الرجوع فيها. قوله تعالى: وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون (89) آية بلاخلاف. في هذه الآية حكاية ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات أف ولنبوّة شعيب للباقيين منهم وأقسموا عليهم " لئن اتبعتم شعيبا " وانقدتم له ورجعتم إلى أمره ونهيه لان الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا اليه تقول: اتبعه اتباعا وتبعه تبعاً، وهو متبع وتابع " إنكم اذا لخاسرون " وقوله " إنكم " جواب القسم واللام في (لخاسرون) لام التأكيد في خبر (إن) و (الخسران) ذهاب رأس المال، فكأنهم قالوا: لئن تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله أو أعظم من ماله، لانكم لاتنتفعون باتباعه فتخسرون في اشتغالكم بما لاتنتفعون به وبانقضاء عمركم إذ لم تكسبوا فيه نفعا _____ (2) تفسير الطبري 12 / 564 وقد مر في 1 / 315، 345.